ملوك أوروبا يطاردون اليسوعية

بذرة الشيوعية الأولى:

بحلول عام ١٧٥٠م كانت جماعة اليسوعيين تضم أكثر الشخصيات نفوذا في العالم، بل أصبحوا كهنة الاعتراف لكل ملوك أوروبا تقريباً بمن فيهم البابا. كما كانوا قد وظفوا سياسة الكوميونات الإقطاعية في مستهل القرن السابع عشر في الباراجواي بين سكانها من الهنود بعد أن أُرسلوا إلى هناك من قبل ملوك إسبانيا والبرتغال. وكان نظاماً شيوعياً يقوم على تسخير المجتمع للعمل بحيث يكتسب الفرد بقدر الاستطاعة ولا يأخذ إلا بقدر الحاجة. أما ما يتبقى وهو الأكثر فيأخذه اليسوعيون. يقول «ر. و. طومسون»:

> انخدع الهنود [الحُمر] السُذّج بالمعاملة اللطيفة، وكانت النتيجة أن نجحوا [أي اليسوعيون] في فترة وجيزة في تأسيس عدد مما عرف بالـ«كوميونات» أو «القرى» على وجه أدق، حيث يجتمع حولهم حشود من الهنود يصل عددهم في النهاية إلى مئات الآلاف. وكلهم بمجرد طقوس المعمودية [أي بوعود الغفران

البابوي] أخضعوا لهيمنة اليسوعيين . . . كل «كوميون» كان يُحكم من قِبل أب يسوعي يسانده نائب وراع للكنيسة كمساعدين، لكن مهمتهما الأساسية هي التجسس[1].

وهذه الكوميونات Commune (أو Reduction) هي التجربة الأولى للنظام الشيوعي الذي أقامه اليسوعيون فيما بعد كما سيأتي؛ واشتق منها اسم الشيوعية ***Communism*** «كوميُونيزم». وبها تمكن اليسوعيون من السيطرة على أراضٍ شاسعة في الباراجواي في القرن السابع عشر وكانت تدر عليهم ملايين الدولارات. لكن كل هذه الأموال كانت تكتسب سراً دون علم ملوك إسبانيا والبرتغال عن هذه الكوميونات.

فلما افتضح أمر الكوميونات وازداد نفوذ أبناء لويولا المنذر بخطر، طَرَدهم ملوك أوروبا الكاثوليك من ممالكهم خوفاً على عروشهم. وكان أول هؤلاء الملوك «جوزيف الأول» ملك البرتغال الذي تعرض لمحاولة اغتيال دبرها اليسوعيون، فأصدر بياناً عام ١٧٥٩م يقول فيه:

في سبيل المحافظة على شرفي الملكي . . . ولحماية رعيتي . . . أعلن أن من يسمون بالكنسيين - أعني اليسوعيين - فاسدون وأنهم قد حادوا عن قوانين تنظيمهم المقدس . . . أعلن أنهم عُرفوا بالتمرد والخيانة والعداء وأنهم مقلقون للسلام وقد عارضوا وسيعارضون شخصي وحكومتي الملكيين . . . وعليه فإنني أعلن أنهم محرومون من حق المواطنة ومنفيون ومحظورون

(1) *Footprints*, p. 174-175.

ومبعدون. وأقضي بأن يطردوا من ممالكي ولُورديَّاتي كلها دون أن يسمح لهم بالعودة أبداً في أي وقت كان[1].

وبناء على هذا القرار أُخذ اليسوعيون وهجِّروا إلى إيطاليا ليكونوا تحت سلطة البابا «كلمنت الثالث عشر». أما اليسوعيون الثلاثة الذي دبروا محاولة اغتيال الملك فسُلِّم زعيمهم لطائفة «الدومينيكان» الكاثوليكية التي أحرقته حياً وحكم على البقية بالسجن مدى الحياة[2].

أما الملك الكاثوليكي الثاني الذي نفاهم فكان ملك فرنسا «لويس الخامس عشر» الذي صاغ برلمانُه الكاثوليكي قراراً أشار فيه إلى أن اليسوعيين "فسقة، مدمرون لمبادئ الدين والاستقامة، وأنهم ضرر على الأخلاق، مَهلكة للمجتمع المدني، فتَّانون . . . وجديرون بإثارة أعظم البلايا بين الدول . . . " وعليه فإن "مؤسسات اليسوعيين ينبغي أن تختفي من كل أنحاء المملكة."[3]

أما الملك الثالث فكان «تشارلز الثالث» ملك إسبانيا الذي طردهم عام ١٧٦٧م بعد أن اطلع على كتابهم «**تعاليم اليسوعيين السرية**» *Secreta Monita*. فأرسل وثيقة سرية مختومة تحمل نفس المحتوى إلى كبار موظفيه في أنحاء مملكته كلها على ألا يفتحوها إلا في الثاني من إبريل عند الشروق؛ ومن شذ قُتل. جاء فيها:

. . . بمجرد فتح هذه الوثيقة اجمعوا كل الجنود وانقلوا بصحبتهم فوراً إلى منزل وكلية اليسوعيين. وعند وصولكم ضعوا على

(1) Griesinger, Theodor. *The Jesuits*, p. 583.
(2) *The Footprints of the Jesuits*, p. 218.
(3) *The Footprints*, p. 219.

الباب خفيراً، وأيقظوا كل أعضاء الجمعية [اليسوعية] من نومهم واعتقلوهم . . . ستكون هناك سفن معدة لنقل الآباء [اليسوعيين] إلى محطتهم. وبمجرد تسليمكم سجناءكم للملاحين تنتهي مسؤوليتكم. لكن علي أن أخبركم أنه إن وجد في مقاطعتكم أو إقليمكم – بعد إركاب الآباء – أحد من أعضاء الجمعية وإن كان من المرضى، فكفارته الموت.

وهكذا تم اعتقال حوالي ستة آلاف يسوعي في نفس الساعة ليجدوا أنفسهم على متن سفن الترحيل[1].

أما الحاكم الرابع الذي طرد اليسوعيين من بلده فكان السيد الأعظم لفرسان مالطة «فرا مانويل بينتو دا فونسيكا» عام ١٧٦٨م[2].

وبعودة اليسوعيين "تَدنَّس ترابُ إيطاليا" – كما عبر «كورمنين» – "بهذا الوحل القذر الذي لفظته الأمم ورَدَّته إلى روما منبعِ كل فساد"[3].

اغتيال البابا «كلمنت الثالث عشر»

لم ترض القوى الكاثوليكية بمجرد نفي التنظيم من ممالكها بل جعلت من شروط السلام بينها وبين روما "أن يَحظر البابا [كلمنت] مؤسسةَ اليسوعيين.

(1) *The Jesuits: A Complete History*, p. 595.

(2) *Wikipedia*, "Manuel Pinto da Fonseca" <http://en.wikipedia.org/wiki/Manuel_Pinto_da_Fonseca>

(3) Cormenin, L. *The Public and Private History of the Popes of Rome* (Philadelphia: James & Campbell, 1847), vol. II, p. 394.

ونظراً لضعف «كلمنت» عن مقاومة زعماء آل «بوربون» قرر أخيراً أن يضحّي بتوابع البابوية، وأعلن أنه سيصدر حل الجمعية في مجلس كنسي عام. كان هذا الإعلان غير الحكيم سبب موته. كان الآباء [اليسوعيون] الصلحاء يتربصون. عشية اليوم المحدد لقانون العدالة الصارم انتابت الأب الأقدس [البابا] آلامٌ غريبة، وقضى في حالة من التشنج عند الساعة الرابعة من فجر اليوم الثاني من فبراير ١٧٦٩م. لقد سقاه اليسوعيون السم."[١]

وبعد أربعة أعوام من تعيين البابا «كلمنت الرابع عشر» خليفة له قام هذا بحظر جمعية اليسوعيين عام ١٧٧٣م بمرسوم خاص جاء فيه أن "مرسوم الحظر والحل المذكور سيكون قائماً ودائماً وفاعلاً إلى أبد الآبدين."[٢] وعند توقيع مرسوم الحظر قال البابا:

> لقد تم الحظر. لست نادماً على ذلك، حيث إني لم أُقبل عليه إلا بعد أن درست ووزنت كل شيء، ولأنني رأيت ضرورته للكنيسة. ولو لم يَصدر لقمت بذلك الآن. لكن هذا الحظر سيكون موتي.[٣]

وفعلا حدث ما كان يخشاه البابا حيث أكل السم في تينة ناولته إياها إحدى المزارعات. وبدأت آثار السم تظهر منذ اليوم الأول فعرف أنه أُطعم سماً، فقال متحسراً: "وا أسفاه! كنت أعلم أنهم سيطعمونني سماً لكنني ما

(1) *The Public and Private History of the Popes of Rome*, vol. II, p. 395.
(2) *Footprints*, p. 227.
(3) Dowling, John, *History of Romanism* (New York: Edward Walker, 1845) p. 604.

توقعت أن أموت بمثل هذه الطريقة البطيئة والوحشية"[1].

لكن حظر اليسوعية عام ١٧٧٣م لم يكن نافذاً في الممالك التي لم تتحد الدولة فيها بالكنيسة الرومية. فروسيا كانت تحكم من قبل أسرة «رومانوف» الحامي الشرعي للأرثودكسية التي يلقب باباها بـ«البطريَرْك». لذا وجد اليسوعيون في روسيا مُدَّخلاً عام ١٧٧٣م إبان حكم الإمبراطورة الخائنة «كاترين العظمى» التي أدخلتهم إلى روسيا بعد أن نفاهم «بطرس العظيم» عام ١٧١٩م[2].

أما الملك الثاني الذي استقبل اليسوعيين في بلده فكان «فريدريك الثاني» ملك «بروسيا» اللوثرية البروتستانتية. وكيف لا يؤويهم وقد كان كبيرَ الماسونيين في أوروبا في زمنه و"مؤسس ورئيس الدرجة الثالثة والثلاثين أو النهائية في الطقس الاسكتلندي . . . "؟[3] "لهذا توجهت أسراب اليسوعيين إلى «سيليسيا» من كل حدَب يرجون حمايته البروتستانتية مما جعل «فولتير» بأسلوبه اللاذع يعلق بقوله إنه لمن فرط التسلية أن يتخيل «فريدريك» جنرالاً لليسوعيين"[4].

---

(1) *The Footprints of the Jesuits*, p. 227-228.

(2) *Vatican Assassins*, p. 220.

(3) Mackey, Albert. *A Lexicon of Freemasonry* (London and Glasgow: Richard Griffin and Company, 1860), pp. 79-80.

(4) *Footprints of The Jesuits*, p. 240.